

# أصول الدين

تأليف الشيخ العلامة:  
عبد الرحمن بن ناصر السعدي  
رحمه الله

شرح فضيلة الشيخ / .....

الناشر

مكتبة الامام الزبير بن العوام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ







بغير هذا الطريق، لهذا قال: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا<sup>ص</sup> وَإِنْ نَوَلُّوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ البقرة: {١٣٧}.

فبين تعالى أنه لا يحصل الهدى والاهتداء بغير هذا الطريق كما قال: ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ لَأَهْدَىٰ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ آلَ عِمْرَانَ: {٧٣}. وهو الذي هدى به عباده على السنة رسله، خصوصا الهدى العظيم التام الذي جاء به خاتم الرسل وإمامهم محمد ﷺ من الحق علما وعملا واعتقادا وسلوكا، وهو الصدق في أخباره النافعة، والعدل في أوامره ونواهيه، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ الأنعام: {١١٥}.

وإذا أردت بيان ذلك والإشارة إليه على وجه التفصيل فإن دين الإسلام أمر العباد أن يؤمنوا بالرب العظيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الذي أحاط بكل شيء رحمة وعلما وقدرة

---



---



---



---



---



---



---



---



---



---

ومشيئة، فإنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير ونفذت مشيئته في جميع الموجودات فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وقع كمال قدرته ومشيئته، فإنه حكيم في كل ما خلقه من المخلوقات، وحكيم في جميع التصرفات، وحكيم في كل ما شرعه من الشرائع، فما خلق شيئاً عبثاً بل نفس خلقه صادر عن حكمته، وما أوجده من المخلوقات فإنه مشتمل على غاية الحكمة، وهو الحسن والإتقان والانتظام الذي تشهده الأبصار والبصائر، وتصريف الأمور كلها وتقليبها من حال إلى حال كله على سعته موافق للحكمة والرحمة والمصلحة، وكذلك ما شرعه من الشرائع وحكم به من الأحكام الشرعية بين عباده جميعه أصوله وفروعه وغاياته مشتمل على الحكمة التي لا غاية لها ولا منتهى لجمالها وحسنها. وكما أنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، وله الحكمة في خلقه وأمره وقضائه وشرعه فإن ذلك كله مملوء من رحمته التي من آثارها الخيرات،



والبركات وأنواع المنافع، والمصالح الدينية والدينية الظاهرة والباطنة، وفيها من النعم والخيرات ما لا يعبر عنه المعبرون، ولا يقدر أن يصفه الواصفون، بل هي نعم لا تعد ولا تحصى ولا يحصي أحد ثناء عليه: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴾ النحل: {٥٣} ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ النحل: {١٨}.

وهذا أمر قد اعترف به البر والفاجر، ولهذا أخبر الله عن المشركين أنهم يعترفون أن الله هو الخالق وحده، المالك وحده، المدبر وحده المنعم وحده، وإنما يتخذون أوثانهم، ومعبوداتهم يزعمون أنها تقربهم إلى الله زلفى، وإلا فهم يعلمون عجزها وفقرها وغير ذلك من صفات النقص، فإذا علم أن الله تعالى هو الذي له الأسماء العظيمة الحسنى، والصفات الكاملة العليا، وأنه المتفرد بكل كمال وعظمة وجلال، وأنه الخالق الرازق المدبر، ومن سواه مخلوق فقير إليه

مدبر، وأن جميع النعم والفضل والخيرات والمنافع من الله وحده، وأنه الدافع لكل شر وسوء، فهو الذي يستحق أن يكون هو الإله المألوه وحده ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾ الزخرف: {٨٤}. أي: هو إله أهل السماء وإله أهل الأرض، الذي يعظمه ويحبه ويدعوه أهل السماء والأرض دعاء عبادة ودعاء مسألة، وهذا هو الغاية والمقصود الأعظم من خلق جميع المكلفين ليعرفوه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وليعبدوه وحده لا شريك له فيخلصوا له الدين، يقومون بالإيمان والإسلام والإحسان على الوجه الذي ينبغي، على وجه الإخلاص والذل لله الواحد القهار، وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه جميع الرسل كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ﴿٢٥﴾ الأنبياء: {٢٥}.

---



---



---



---



---



---



---



---



---



---





فأخبر أنه أوحى إلى جميع رسله أن يعترفوا بإلهيته وحده، وأن يقوموا بعبوديته ظاهراً وباطناً، وهذه العبودية التي أمر الله بها عباده هي طاعته وطاعة رسوله بتصديق خبر الله ورسوله، وامتنال أمر الله وأمر رسوله، واجتناب نهي الله ورسوله، وذلك هو القيام بحقه تعالى على عباده، وبالقيام بحقوق العباد بحسب حالهم ومراتبهم وذلك كله مبناه على العدل، فإن أصل العدل وأساسه عبادة الله وحده لا شريك له، فإن توحيدَه أو جب الواجبات، وأفرض الفرائض شرعاً وعقلاً، والإخلال بالإخلاص أظلم الظلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٣﴾ لقمان: {١٣}. وأي ظلم أعظم من ظلم من تفرد الله بخلقه وتدييره فعبد سواه، وتفرد بالإحسان إليه وإيصال الفضل إليه بكل سبيل، فصرف شكره لغيره، وإذا كان الشرك أظلم الظلم فما الظن بما هو أفضح من الشرك، وهو الإنكار والإلحاد والاستكبار عن عبادته أو عن الاعتراف به،

---



---



---



---



---



---



---



---



---



---





فتأمل هذه الأوامر الجليلة الجميلة وما فيها من الخيرات وما تضمنته من أداء الحقوق التي هي أفرض الحقوق شرعا، وعقلا، وما نهت عنه من أصناف المحرمات المحتوية على الظلم والشر والضرر والفساد. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: {٩٠}.

فقد جمعت هذه الآية الكريمة الأمر بكل عدل وإحسان وخير، وحثت على أداء الحقوق العامة والخاصة، ونهت عن كل منكر وفحشاء في حق الله، وبغى على عباد الله بدمائهم، وأموالهم، وأعراضهم، وقد جمع الله أيضا أصول العدل في قوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الأعراف: {٢٩}.

---



---



---



---



---



---



---



---



---



---

كما جمع أصول الشر والظلم في الآية الأخرى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ الأعراف: {٣٣}.

وهذه المحرمات في كل شريعة، وكل زمان ومكان، لأن الشر والضرر والفساد ملازم لها حيث ما كانت، وقال تعالى في بيان أصول البر والتقوى التي هي روح العدل.

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ



﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ ﴿٦﴾ سآ: {٦٦}. فأخبر أن الذين أوتوا العلم الحقيقي هم الذين يرون ويعترفون أن الذي أنزل على محمد ﷺ هو الحق في ذاته وأوصافه، وأنه يهدي إلى الصراط المستقيم الموصل إلى الله العزيز الحميد، يعني: ويرون أن ما خالفه وناقضه هو الباطل في ذاته وأوصافه، وما يوصل إليه من غي وضلال، وجهل وشر، فهو تعالى الحق ودينه حق ووعدته حق وقوله حق وما خالف ذلك باطل.

قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ الحج: {٦٢}. ﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ الروم: {٦٠}. ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ الأحزاب: {٤٤}. ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ



﴿النساء: {١٢٢}. وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ ﴿النساء: {٨٧}.  
والحق هو الصلاح وبه الصلاح المطلق، وضده هو الفساد.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ ﴿المؤمنون: {٧١}.

فأخبر أن الحق لو كان تابعا لأهواء كل مخالف للرسول لحصل منه الفساد العام والضرر العظيم، فكل شريعة وقانون وسياسة للمخلوق تنافي ما جاء به الرسول، فإن شرها مستطير، وضررها كبير، والتجربة والمشاهدة أكبر شاهد على ذلك، وحيث كان الحق وصف الدين اللازم الملازم قاوم كل ما عارضه من جيوش الباطل المتكاثرة الجبارة، فصمد لها وقاومها وأبطلها ومحققها، وهو لا يزال -ولله الحمد- في كل وقت مستعد لمقاومة المعتدين ومنازلة الظالمين وتحدي كل معتد كفار أثيم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ







لِصَدِّجِهِ لَا تَحْزَنْ إِنْ أَلَّاهُ مَعْنًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ  
وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

﴿التوبة: {٤٠}﴾

ثم تأمل ما قام به الخلفاء الراشدون ومن معهم من الصحابة الأخيار، ومن بعدهم من الملوك العادلين، وكيف فتحوا القلوب بالعلم والإيمان، وفتحوا الأمصار، والحق معهم ملازم لهم والنصر من الله مؤيدهم، ولم يزل الدين الإسلامي قد خضع له أهل المشارق والمغرب، وقد تقبلوه وقبلوه بما فيه من العدل والرحمة والخير الذي لا يوجد في غيره، فلما تحلّلوا بعد ذلك عن هذا الدين الحق شيئاً فشيئاً تقلص عزهم، وسلطت عليهم الأعداء من كل مكان، وهو مع كثرة الأعداء وشدة حنقهم واتفاقهم على محقه وإبطاله، ومع قلة أهله

الحقيقيين ووقوع التخاذل بين المنتسبين إليه- مع ذلك لم يزل- والله الحمد- قائم الأصول، محفوظا بحفظ الله، مقاوما كل جيش يغزوه من أصناف الكفار المحاربين المعلنين محاربتة، ومن الزنادقة المنافقين الملحدين الذين يظهرون إحداهم، والذين يخفونه ويعملون في الباطن على القضاء عليه، ولكنهم في كل وقت مخذولون يبدون المقاومات المتنوعة فيظهر للخلق باطلهم وإحداهم ومكرهم، ولا يروج باطلهم إلا على من لا بصيرة له ولا حق معه، ولما علموا بذلك وعرفوا أنه ليس في إمكانهم مقاومة الحق سعوا في إضعاف الحق من قلوب من ينتسب إليه، ففتحوا المدارس التي تحت سيطرتهم، وطردها عنها علوم الدين أو جعلوه اسما على مسمى ليتمكنوا من بذر باطلهم في قلوب المتعلمين فيها، الذين ليس عندهم علم بالحق يقاوم مكر هؤلاء وخداعهم، وكان هذا من أكبر النكبات التي أصيب بها المسلمون، ومن أكبر السلاح لأعداء



التعاليم الضارة؟ فما أعظم خسارة من خسر أولاده، بل ما أعظم حسرة من كان أولاده الذين كان يرجو نفعهم، بإهماله إياهم، وتوجيههم للعلوم الضارة، قد صاروا أعظم نكبة عليه وخسر دينه ودنياه.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))<sup>(١)</sup>. وذلك بالتعاليم المنحرفة، وهذه المدارس الإلحادية تخرج الناشئين فيها من الأديان كلها، لأن هذا هو الغرض المقصود بها، ولأنها تلقي في أذهانهم قاعدة من أخبث أو أخبث أصول الإلحاد وهي أن العلم الحقيقي عندهم ما يدرك بالحواس فقط، وما لم يدرك بالحواس فليس عندهم بعلم، ولا يعد من الحقائق الصحيحة، وهذه القاعدة الخبيثة خالفوا فيها جميع الأديان الصحيحة، بل خالفوا فيها جميع العقلاء، فإن مدارك

<sup>(١)</sup>رواه البخاري برقم (١٣٨٥).



العلم كثيرة متنوعة، مدركات الحس ومدركات العقل ومدركات الأخبار الصحيحة، والنوعان الأخيران مدركاتهما أعظم وأكمل وأوسع، فإذا نفيت لم يبقى إلا المدركات التي تدرك بالحس وهي دائرة ضيقة توقع أهلها في المهالك، فأعظم آثارها وأبطلها إنكار علوم الغيب كلها، وهو إنكار جميع ما أخبرت به الرسل، والكتب المنزلة من السماء من توحيد الله، وتفرد به بصفات الكمال، وتوحده بالخلق والتدبير، وإنكار البعث والجزاء في الدار الآخرة، وإنكار الملائكة والجن، وجميع ما أخبر الله به وأخبرت به الرسل من أنباء الغيب الواسعة المنتشرة التي قامت البراهين المتنوعة على حقها وصدقها وعدم الريب فيها، فأنكرها هؤلاء الملحدون كما أنكرها أسلافهم الدهريون الذين قالوا:

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ

عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ الجاثية: {٢٤}.

---



---



---



---



---



---



---



---



---



---

وقد علم أن آيات التوحيد، وآيات البعث، وآيات صدق الرسل والبراهين الدالة على ذلك التي لا يمكن إحصاؤها كلها- تبطل قول هؤلاء الملحدين، وتخبر أنهم كما خرجوا من الدين خرجوا من العقل الصحيح، وخالفوا فطرة الله التي فطر الله عباده عليها، فجميع ما أخبر الله به في كتبه وعلى السنة رسله من أمور الغيب التي هي أعلى أنواع الصدق- أنكرها هؤلاء الملاحدة.

ومن المعلوم عند العقلاء المعتبرين أن من لم يؤمن بذلك الحق المبين الذي قامت الأدلة والبراهين بصدقه وحقيقته ويقينه لم يكن عنده علم وحق يؤمن به

﴿ فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتُهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَبَلِّغْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ

اللَّهِ تُنَلِّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦ - ٨﴾ الجاثية: {٦ - ٨}.

وقد تحدث الرسل عليهم الصلاة والسلام جميع من كذبهم أن يعارضوا ما جاءوا به من الآيات البينات والمعجزات الباهرات، فظهر عجز المكذبين، وبانت



مكابرتهم، وأنهم ليسوا على شيء، وأنهم كانوا كاذبين، وقد تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وأخبر أنهم ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء: {٨٨}. والتحدي قائم منذ نزل القرآن وإلى أن تقوم الساعة، وعجز المعارضين المكذبين قد ظهر لكل أحد، وهذا من أعظم البراهين الموجبة لتصديق جميع ما أخبر به من علوم الغيب والشهادة.

كما أن من أعظم البراهين أحكام هذا الدين، وصدق ما جاء به من الأخبار عن الأولين والآخرين، وعن جميع أمور الغيب، وأنه لم يأتي ولن يأتي علم صحيح لا محسوس ولا معقول ينقض خبرا من أخباره، كما أن أحكامه أعدل الأحكام وأهداها وأقومها، وبها الصلاح المطلق في كل زمان ومكان، وقد بان لكل عاقل أن الأمور العامة، والخاصة لا يمكن صلاحها واستقامتها واعتدالها حتى تطبق على أحكام الله بين عباده ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة:

---



---



---



---



---



---



---



---



---



---

{٥٠}. ولا ينكر هذا ولا يكابر فيه إلا أحد رجلين، إما معاند مكابر ينكر الحقائق الواضحة والبراهين الساطعة، وإما ضال جاهل من أعظم الضالين، فالعناد والضلال لا يستغرب على صاحبها إنكار أعظم آيات الله، وأعظم البراهين والمعجزات الدالة على صدق الرسل وحقية ما جاءوا به فهؤلاء داخلون في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٠) إِذِ الْأَعْلَى فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿ غافر: {٧٠} - {٧١}. فهم كذبوا بجميع آيات الله التي هي أبين الآيات وأعظمها وأوضحها، وبها أرسل الله به رسله من الحق النافع والصدق.





﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ  
لِتَرْوُلٍ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ إبراهيم:

{٤٦ - ٤٧}. الذي من جملته ظهور الحق على الباطل وانتصاره في هذه الدنيا ويوم  
يقوم الأشهاد، فمن أعظم مكرهم ما أشرت إليه سابقا بإضعاف علوم الدين أو  
منعها من مدارسهم. ومنها أنهم قالوا: يجب أن تكون الأفكار حرة وألا تتقيد  
بشيء من القيود، وذلك لقصد التحلل عما جاءت به الرسل والأديان  
الصحيحة، لأنهم إذا زعموا أن لكل أحد فكره، وأنه مهما خطر بباله من  
الأفكار، والعقائد الهدامة فله أن يبوح بها، ويدعو إليها، وأن لا يعارضها بعقيدة  
صحيحة ولا فاسدة - كان مضمون هذا وجوب التحلل عن الأديان، وعدم  
التقيد بها، وهذا هو الإلحاد والزندقة، وهؤلاء أعظم جرما وأشد طغيانا من  
إخوانهم السابقين الذين ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ



حرية الأفكار وإعطاء كل أحد أن يتكلم بما يريد ويشتهي، والإرادات متباينة، والأغراض مختلفة-أن في هذا هلاك الحكومات والشعوب، فالخلق في غاية الضرورة إلى ضابط يضبطهم، وإلى قوانين صارمة قوية تحجزهم عن الشرور المتنوعة، ومتى أعطوا حريتهم مرجت أقوالهم، واختلت أعمالهم، وتباينت أفعالهم فوقعوا في الفوضى المهلكة، والشرور القاتلة، والأمم التي تعمل على هذا هي ساعية في طريق هلاكها الدنيوي قبل الهلاك الأخروي.

فالأفكار الصحيحة هي الأفكار السليمة المتقيدة بالحق التي غايتها الحق وسيرها مع الحق، وهي الأفكار التي دعا الله عباده إلى التفكير فيها في آياته المتلوة وآياته المشهودة، ليعرف الحق ويعمل بالحق، وذلك هو الصلاح للظاهر والباطن، وحيث قد علم أهل العلم والهدى والرشد أن ما جاء به الرسول هو الحق، وهو الذي يهدي إلى كل خير كان الواجب المتعين والفرض الأكيد التقيد بهذا الحق



علما وإرادة وعملا، فتكون الأفكار حائمة حول هذا الحق المبين لاستخراج علومه ومعارفه النافعة، وحول إرشاداته ومواعظه لسلوك الصراط المستقيم.

وهذا التقيد الذي هو أفرض الفروض على المكلفين هو ينبوع العلم وأصل الخير، ومدار صلاح الدين والدنيا عليه، وهو المانع من الفوضى، ومن الانطلاق في الهلاك، فيتقيد العبد بهذا الحق، ولا يتقيد بأي قول يعارضه، ولا بأي عمل ينافيه ولو صدر من أكابر الناس، لأن ما سوى الرسول ﷺ غير معصوم، وأما ما جاء به الكتاب والسنة من الحقائق في الأصول والفروع فهو محكم معصوم يدل

على كمال اليقين العلمي واليقين العملي ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ النساء:

{١٢٢}. ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ النساء: {٨٧}. ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ

وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ الأحزاب: {٤}. ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ

أَقْوَمُ ﴾ الإسراء: {٩}. ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ











وقال ﷺ: (( لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ))<sup>(١)</sup>.  
 فمن كان هواه تبعا لما جاء به الرسول لا يزيغ عنه فهو المؤمن الحقيقي، وهو  
 الذي قد هدي للتي هي أقوم في علومه ومعارفه وأخلاقه، وهو الذي أطمأنت  
 نفسه إلى الصدق والحق، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة<sup>(٢)</sup> والباطل صاحبه  
 في أمر مريج.

<sup>(١)</sup> السنة لابن أبي عاصم (١٥).

<sup>(٢)</sup> مشكل الآثار (٢١٤٠).



## فصل

ومما روج به الملحدون باطلهم وعلومهم المخالفة للدين أنهم زخرفوا لها العبارات فسموها تجديدا ورقيا وتقدما ونحوها من الأسماء التي يغرر بها ويغتر بها من لا بصيرة له، وسموا الحق الذي جاءت به الرسل جمودا ورجعية ورجوعا إلى الوراء وتخديرا كما قال تعالى عن أسلافهم: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ

عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۗ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ ۖ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَلِنَصِّغِيَ إِلَيْهِ أَفْعَدَةً ۗ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوْهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٢﴾ الأنعام: {١١٢-١١٣}.

فأخبر تعالى أن هذا دأب أعداء الرسل في كل زمان أنهم يزخرفون العبارات لتحسين باطلهم وتقبیح ما جاءت به الرسل، وأنهم يتواصون بذلك، ويفترون

---



---



---



---



---



---



---



---



---



---



أنه قال: (( احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ))<sup>(١)</sup>. وهذا شامل للأمر بالحرص على ما ينفع في العاجل والآجل، وكم في كتاب الله من الأمر بالأعمال الصالحة النافعة، والأمر بالاستعانة بالله التي هي روح الأعمال، وبها قوامها، فإن من استعان بالله كفاه وأعانته وقواه وأيده بروح منه ﴿ وَمَنْ

يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: {٣}].

وقال تعالى في الأمر بالصبر على الجهاد ومقاومة الأعداء والترغيب في ثواب ذلك ﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ <sup>ص</sup> وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء: {١٠٤}]. ﴿ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

<sup>(١)</sup> رواه مسلم رقم (٢٦٦٤).



﴿ الأنفال: {٤٦} . فهذا الأمر بملازمة الصبر على كل عمل نافع، والبشارة لهم بمعية الله ومعونته.

وأما العلوم المادية الخالية من روح الدين وروحه فإنها تقدم إلى الهلاك والدمار، وتقدم إلى هدم كل خلق جميل والاتصاف بكل خلق رذيل، والمشاهدة والحس أكبر شاهد على هذا، وذلك أنه من الممتنع المحال أن يحصل التقدم الصحيح إلا إذا صحبه الدين الصحيح الملازم للحق، فإن الباطل وإن كان له نوع صولة فأخره الزوال والاضمحلال، ومنتهاه الخسارة والهلاك والتبار<sup>(١)</sup>.

فعند هؤلاء الملحدين أن التجديد والرقي هو الاندماج في معنوية الأجانب أعداء الأديان كلها، وزوال شخصياتهم في شخصيات أولئك، والتشبه بهم في أخلاقهم ولباسهم وعوائدهم الدقيقة والجليلة، ((ومن تشبه بقوم فهو

<sup>(١)</sup> التبار: (الهلاك). لسان العرب، مادة (ت ب ر).

منهم))<sup>(١)</sup>. فيرون البقاء على أخلاق دينهم وقومهم التي هي الأخلاق العالية- يرون البقاء عليها جموداً، والانحلال عنها هو الرقي، فاستبدلوا الأدنى الخسيس بالأعلى الكامل النفيس فصاروا مع أعدائهم في ظاهرهم وباطنهم، وصاروا بذلك أكبر سلاح للأعداء على دينهم وقومهم، وبهذه الحال تنحل معنوياتهم، ويندمجون في غيرهم في كل شيء وهذا أبلغ ما يريده الأعداء من المتسمين بالإسلام.

(١) رواه الإمام أحمد برقم (٥١١٤)، وأبو داود برقم (٤٠٣١).



والمشاهدة أكبر شاهد على ذلك، فإنها مع تطورها وتبهرها عجزت كل العجز عن إصلاح الأخلاق واكتسابها الفضائل، وعجزت عن ترفعها عن الرذائل، وإنما الذي يتكفل بهذا الإصلاح ويتولى هذا التهذيب الصحيح، ويوجه الأفكار إلى العلوم الصادقة والأعمال إلى الخير والهدى والصلاح، ويزجرها عن كل شر - هو ما جاء به الدين الإسلامي، فهو مصلح للظاهر والباطن، للعقائد والأخلاق والعمال، حاث على كل فضيلة، زاجر عن كل رذيلة، فروح ما دعا إليه الدين الإسلامي الإيمان بالغيب، المتضمن للإيمان بالله العظيم، وما له من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا، والأفعال الحميدة، والتصاريف السديدة، ويتضمن الإيمان بالجزاء العاجل والآجل عن الأعمال الصالحة، والأعمال السيئة التي لا يعرف تفاصيلها إلا من جهة الرسل، وهي التي تزرع في القلوب الرغبة في فعل الفضائل والخيرات، والتنافس في اكتساب الإحسان في عبادة الله،





بالله ومن الرغبة في ثوابه ورضاه والخشية من سخطه وعقابه، وأخلاقه أكمل الأخلاق وأفضلها قد أثر هذا الإيمان وتوابعه في توجهه وتوجيهه وسعيه فكانت أعماله سالحة، وكان مخلصا لله ومؤديا لحقوق عباده يرعى العهود والأمانات، ويحترم الحقوق والمعاملات، قد اطمأن كل أحد في ثقته وأمانته وقيامه بها عليه من الحقوق - كم بين هذا وبين من هو بضده ليس في قلبه من الإيمان مثقال ذرة ولا رغبة في الخير ولا رهبة من الشر لا يرعى العهود والأمانات، ولا يطمئن إلى ثقته كل من علمه وخبر حاله، ولا عنده خشية لله تردعه عن المحرمات والخيانات، قد هبطت به أخلاقه إلى أسفل سافلين، ثقافته وهمته مصروفة إلى تنميق بدنه وشعره، وتجميل لباسه وهيئته وكلامه، وليس وراء هذا شيء إلا العار والدمار، لما هو عليه من الأخلاق الهدامة لأحواله ولمن يتصل به، فبين هذا وهذا كما بين السماء والأرض، وهذا الفرق العظيم عائد إلى الاتصاف



بالثقافة العصرية الجافة، أو الثقافة الدينية التي روحها الرحمة والعدل والقسط والأمانة والوفاء بالحقوق.

فأعظم نعمة ينعم الله بها على العبد أن يكون عنده بصيرة يبصر بها الأشياء على ما هي عليه، فيعرف الحق ويعمل به، ويعرف الباطل فيدعه، والله هو الموفق وحده، ولا تنظر إلى من تسمى بالإسلام ونبذ أخلاقه وراء ظهره، وتحتج به على الإسلام والمسلمين في صفته وجموده وهبوط أخلاقه، فإن الإسلام والمسلمين الحقيقيين يتبرءون ممن هذه حاله وإن تسمى بالإسلام، وليس له منه إلا رسمه، فإن الدين الإسلامي دين الرفعة والعزة والرقى الصحيح، فتعاليمه وإرشاداته وأخلاقه وأعماله كلها في غاية الأحكام والانتظام، وهي الغاية في توجيه المتصفيين بها إلى كل خير وصلاح وإصلاح، كما هو معروف عند كل أحد ما كان عليه المسلمون الأولون من الكمال والقيام بجميع المقومات الدينية والدنيوية،

---



---



---



---



---



---



---



---



---



---





## فصل

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ  
 أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ  
 هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ غافر: {٥٦}. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا  
 إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ  
 وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يُجَادِلُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ  
 بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ الأحقاف: {٢٦}.

أخبر تعالى في هذه الآيات وغيرها أن المكذبين بالرسول والجاحدين لآيات الله  
 إنما حملهم على ذلك الكبر الذي هو صدورهم واحتقارهم واستهزائهم بما  
 جاءتهم به الرسل وفرحهم بعلومهم المنافية لعلوم الرسل. ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ

---



---



---



---



---



---



---



---



---



---



رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ  
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ غافر: {٨٣}.

وهذا الذي ذكره الله هو أفضع وأشنع آثار الكبر الذي هو شر الأخلاق، الذي من في قلبه مثقال حبة منه لا يدخل الجنة (١)، وهكذا خلف هؤلاء السلف الطالح، فإنهم قد اتفقت كلمة سفهائهم ومعانديهم أنهم لا يؤمنون، ولا ينقادون إلا لمن دخل تحت حواسهم وتجاربهم، ونظرياتهم وما سوى ذلك أنكروه وقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ الأنعام: {١٢٤}.

وقد علم عقلا وشرعا وفطرة أن العلوم والحقائق التي لا تدخل تحت الحواس، وتدرك بالعلوم التي جاءت بها الرسل، وبالعقول والفطر السليمة - قد علم أنها أكمل العلوم وأقواها وأنفعها، فهم جحدوها رأسا إلا ما أحاطت به معارفهم

<sup>١</sup> رواه مسلم رقم (٩١).









الأمم المكذبين للرسول إذ أخبرتهم الرسول بما لا يعرفوه أنكروه وجحدوه  
واستكبروا عنه. ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ ۖ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَلِكَ  
كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ {يونس: ٣٩}. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَى  
رَجُلٍ يَنْتَحِكُم إِذَا مَنَّكُمُ إِذَا مَنَّكُمُ كُلٌّ مِّمَّزَقٍ إِنَّكُمْ لَنَبِيٍّ لِّخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿٧﴾ أَفَتَرَى عَلَى  
اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ  
﴿سأ: {٧-٨}.

وهل أعظم شقاء وضلال ممن ينكر قدرة الخلاق العليم، وهو يشاهد من آياته في  
الآفاق والأنفس أمورا كثيرة تبطل حجته، وتزهق باطله: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى  
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ  
طَاغُونَ﴾ {الذاريات: {٥٢-٥٣}.

---



---



---



---



---



---



---



---



---



---



